

من آثار الخليفة أبي جعفر المنصور المستنصر بالله في الحرم المكي الشريف بقلم : د. محمد أنور حكري

من الأحجار المنقوشة التي أمكن جمعها إبان توسعة الحرم المكي الشريف في العهد السعودي لوح من حجر أزرق طوله سبعون سنتيمترا وعرضه خمسة وثلاثون سنتيمترا وعليه النقش التالي في خمسة سطور :

« بسم الله الرحمن الرحيم امر بعماره المطاف الشريف

سيدنا ومولانا الامام الاعظم المعروض الطاعة على سائر

الامم ابو جعفر المنصور المستنصر بالله امر المؤمنين

بلغه الله اماله وزين بالصالحات اعماله وذلك

في شهر سنة احدى وثلس وستمائه وصلى الله على سيدنا محمد وآله »

والخط بارز غير جيد ، والنقط مستديرة ، ويخلو كثير من الحروف من التنقيط .

وقد سها الكاتب عن كتابة النون في « المنصور » ؛ والياء في « إحدى » متصلة بالبدال . وتقتصر الحركات على الفتحة فوق الصاد في « الصالحات » .

وقد ذكر القطبي المتوفي سنة ثمان وثمانين وتسعمائة هجرية أن هذا اللوح باق

إلى زمانه وأنه كان « بلصق الكعبة الشريفة في وسط مقام سيدنا جبريل عليه السلام » (١) .

وقد نقل نقوشه وهي تتفق وأغلب نقوش اللوح ، غير أنه زاد لفظ الإشارة

١ قطب الدين الحنفى ، كتاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام ، ص ١٦٠

« هذا » إلى « المطاف » و « حور » ل « بفرص » إلى « المفترض » ، وجعل نهاية النقش « وعلى آله وسلم » بدلا عن « وآله » فحسب .

ويذكر المؤرخ الحجازي حسين عبد الله باسلامه أنه جاء في مخطوط « تحصيل المرام » للصباغ المكي المتوفي سنة إحدى وعشرين وثلثمائة وألف هجرية عن القطب الحنفى أنه قال : وبلصق الكعبة في وسط مقام جبريل عليه السلام في الحفرة التي يمين باب الكعبة حجر من الرخام الأزرق الصافي منقور فيه ماصورته :

بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا المطاف الشريف سيدنا ومولانا الأمام الأعظم المفترض الطاعة على سائر الأمام أبو جعفر المنصور بالله أمير المؤمنين ، بلغه الله آماله وذلك في ٦٣١ هـ ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (١) .

وفي ذلك ما يخالف النص الأصلي في إضافة لفظ الإشارة إلى « المطاف » وفي حذف « وزين بالصالحات أعماله » وكتابة السنة الهجرية بالأرقام وإدخال حرف الجر على « آله » وزيادة « وصحبه وسلم » في نهاية النص .

لذلك يبدو أن باسلامه لم يشاهد هذا اللوح وإلا كان نقل عنه كما نقل عن غيره من نقوش الحرم المكي الشريف ، ويؤيد ذلك لفظا « هذا » و « المفترض » بما يتفق وما ذكره القطبي ويخالف ما جاء في اللوح . ولعل هذا اللوح كان قد طمر في الحفرة التي جاء عنها أنها كانت على يمين باب الكعبة المعظمة .

والخليفة أبو جعفر المنصور هو ابن أبو نصر محمد بن الناصر القاهر بالله والد آخر الخلفاء العباسيين في بغداد . وقد بويغ له بالخلافة يوم وفاة أبيه سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وظل في الخلافة حتى توفي في سنة أربعين وستمائة . وقد جاء عنه أنه « نشر العدل ، وبذل الأنصاف ، وقرب أهل العلم والدين ، وبنى المساجد والربط والمدارس ، وهو الذي بنى المدرسة المستنصرية ببغداد التي لم ير مثلها في مدارس الإسلام ولم يوجد في المدارس أكبر منها كتب ولا أكثر أوقافا عليها . وكان لهذه المدرسة أربعة مدرسين يدرسون فيها على المذاهب الأربعة

رتب فيها الخبز والحلوى والفاكهة وكسوة الشتاء والصيف ، وجعل فيها ثلاثين يتيما ووقف على ذلك ضياعا وقرى كثيرة » (١) .

وكان يتبادل ولاية مكة المكرمة في الفترة من عشرين وستمائة هجرية إلى ست وأربعين وستمائة الولاية تارة من قبل مصر وتارة أخرى من قبل اليمن . وقد صاحب ذلك حروب وفتن داخلية (٢) ، ومع ذلك استطاع الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أن يأمر بأداء عدة أعمال في مكة المكرمة . فقد ذكر الفاسي (٣) أنه عمر عين بازان (٤) « غير مرة ، منها مرة في سنة خمس وعشرين وستمائة ، ومنها مرة في سنة أربع وثلاثين وستمائة » . وفي سنة ثمان وعشرين وستمائة أنشأ بيمارستانا في الجانب الشمالى من المسجد الحرام (٥) .

وفي سنة تسع وعشرين وستمائة قام ببعض الأعمال في الحرم الشريف ، ويذكر الفاسي أن ماعمر إذ ذاك من الكعبة المشرفة غير معروف « هل هو في سقفها أو أرضها وجدرها » (٦) . وقد اعتمد في ذلك على رخامة ذكر أنها في داخل جدار الكعبة اليماني مكتوب فيها بعد البسملة :

« أمر بعمارة البيت المعظم الإمام الأعظم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين » .

وقد زاد على ذلك بأن « فيها بعد الدعاء له في شهور سنة تسع وعشرين وستمائة » . على أن القطبي لم يذكر شيئا عن هذه الرخامة . ويذكر باسلامة أن من الألواح الرخامية المكتوبة بداخل الكعبة المعظمة التي نقل نقوشها في ضحوة يوم الجمعة الموافق ٢٣ من شهر ذى القعدة سنة ١٣٥٢ هـ لوحة « ملصقة في الجهة الغربية التي

-
- ١ قطب الدين الحنفى ، الاعلام ، ص ١٥٧
 - ٢ تقى الدين الفاسى ، شفاء الغرام بإخبار البلد الحرام ، الجزء الثانى ص ١٩٩ وما بعدها . انظر ايضا « العقد الثمين » لنفس المؤلف ، الجزء الاول ص ١٧٤ وما بعدها .
 - ٣ الفاسى شفاء الغرام ، الجزء الاول ، ص ٣٣٧ ، الفاسى ، العقد الثمين الجزء الاول ص ١٢٣
 - ٤ وهى تعرف الآن بعين زبيدة .
 - ٥ الفاسى ، شفاء الغرام ، الجزء الاول ، ص ٣٣٧ ، العقد الثمين الجزء الاول ص ١٢٣
 - ٦ الفاسى ، شفاء الغرام ، الجزء الاول ، ص ١٠١

هى أمام الداخل من باب الكعبة المعظمة من الجهة الشمالية بالنسبة للجدار الغربي على يمين المستقبل للجهة الغربية ، قد كتب فيها بالخط البارز نقرا :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بعمارة البيت المعظم الإمام الأعظم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين بلغه الله أقصى آماله وتقبل منه صالح أعماله فى شهور سنة تسع وعشرين وستمائة ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . (١)

علاوة على ذلك يذكر الفاسي أن المستنصر العباسي عمر الحجر وأن اسمه مكتوب فى رخام فى أعلى الحجر . (٢)

واعتمادا على ما وجدته القطبي « مكتوبا فى نصب حجارة مبنية فى قرب الموقف الشريف بعرفات » ، فإنه يذكر أن أمير المؤمنين المستنصر بالله العباسي عمر عين عرفات فى سنة خمس وعشرين وستمائة ثم فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ثم فى سنة أربع وثلاثين وستمائة (٣) . وكان من جملة خدام المستنصر بالله الأمير شرف الدين إقبال الشرايبي المستنصرى العباسي ، وقد ذكر القطبي عنه أنه « بنى بمكة مدرسة على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب السلام ووقف فيها كتب كثيرة فى سنة إحدى وأربعين وستمائة » (٤) .

هذا ما كان من أمر التعريف بالخليفة أبو جعفر المنصور المستنصر بالله العباسي وبما أمر به من أعمال فى الكعبة المشرفة والمسجد الحرام ومكة المكرمة . واللوح الذى نحن بصدد تسجيل أمره بعمارة المطاف الشريف . والمطاف الشريف هو المدار المحيط بالكعبة المعظمة ؛ على أن باسلامة وصف عمل الخليفة بأنه عمارة « حاشية المطاف » (٥) وفى ذلك خروج على حرفة النص ،

١ - باسلامه ، تاريخ الكعبة المعظمة ، الطبعة الثانية ص ١٤٠ ؛ وأنه ليرجى أن تتاح الفرصة لتصوير هذه اللوحة وغيرها من لوحات الكعبة المشرفة ونقل نقوشها وإبراز أهميتها التاريخية بما يوثق ما ذكره عنها المؤرخون ويصحح ما يمكن أن يكون قد تسرب إلى ما نقلوه من زيادة أو نقص . هذا ويلاحظ أن هناك خلافا بين الفاسي وباسلامة فى مكان هذه اللوحة فى داخل الكعبة المشرفة .
٢ - الفاسي ، شفاء الغرام ، الجزء الأول ، ص ٣١٥ وما بعدها .
٣ - القطبي ، الإعلام ، ص ٢٨٣ ، لا تزال هذه النصب فى مكانها وسوق تصور وتقل نقوشها ويكتب عنها أن شاء الله .

٤ - القطبي ، الإعلام ، ص ١٦٠

٥ - باسلامه ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٩٤

لقد جاء أن السلطان سليمان القانوني أمر « بتجديد فرش أحجار المطاف وتسويتها تحت أقدام الطائفين » وذلك لأن « أحجاره انفصل بعضها عن بعض وصار بين كل حجرين حفر » (١). وجاء كذلك أنه في عهد السلطان سليم بن سليمان عمر الوزير سنان باشا « حاشية المطاف وكانت من بعد أساطين المطاف الشريف دائرة حول المطاف مفروشة بالحصى يدور به دور حجارة منحوتة مبنية حول الحاشية بالحجز الصوان المنحوت ففرشت به في أيام الموسم وصار محلا لطيفا دائرا بالمطاف من بعد أساطين المطاف وصار ما بعد ذلك مفروشا بالحصى الصغار كسائر المسجد » (٢). ومؤدى ذلك أن حاشية المطاف هي مساحة أخرى تحيط بالمطاف الشريف ، وقد كانت « عليها المقامات الثلاثة حول المطاف » كما يذكر باسلامة في موضع آخر من كتابه (٣). ومن جهة أخرى لقد نقل باسلامة عن « منائح الكرم » للسجاري أن المطاف فرش بالمرمر سنة ١٠٠٣ هـ وأن ترخيمه تم سنة ١٠٠٥ هـ في عهد السلطان محمد بن مراد (٤). وعلى هذا فإن في إختلاف المطاف عن حاشية المطاف ، وفي تجديد السلطان سليمان القانوني فرش أحجار المطاف ، وفي قيام الوزير سنان باشا بفرش حاشية المطاف بالحجر الصوان في عهد السلطان سليم بن سليمان ، وفي فرش المطاف بالمرمر في عهد السلطان محمد بن مراد ما يتركى أن المقصود بعمارة المطاف في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور المستنصر بالله هو فرشهِ بالحجارة . ولعل في لصق اللوح ، الذى نحن بسبيله ، فى الكعبة الشريفة مشرفا على المطاف ما يزيد فى ذلك تركية .

وهكذا يوثق لوح الخليفة أبي جعفر المنصور المستنصر بالله ما ذكره المؤرخون عن أحد أعماله فى الحرم المكي الشريف بما يدل على أنهم اعتمدوا فيما ذكروا على وثيقة منقوشة . وهو إلى جانب ذلك يصحح بعض ما تسرب إلى ما نقلوه عنها من نقص وزيادة ، كما أنه دليل قائم مشهود على ما أمر الخليفة بعمله فى المطاف الشريف .



١ انقطبي ، الاعلام ، ص ٦٣ ؛ باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ١١٦

٢ انقطبي ، الاعلام ، ص ٣٠٨

٣ باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ١١٦

٤ باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ١١٦ - ١١٧